

الرمزية الجنائزية للمصابيح الزيتية بمقابر تيبازة خلال الفترة الرومانية

The Symbolism of Oil Lamps in the Tombs of Tipasa during the Roman Period

رابحي أسماء¹ ، طواهري حكيمة²

¹ جامعة الجزائر 2 - asma.rabehi@univ-alger2.dz

² جامعة الجزائر 2 - hakima.touahri@univ-alger2.dz

مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط - جامعة الجزائر 2

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/21

تاريخ الاستلام: 2024/10/31

الملخص

شهدت مقابر تيبازة حملة تنقيبات مكثفة، ورّعت نتائجها على شكل معطيات في العديد من المقالات والمنشورات إلا أنها لم تسلط الضوء على الممارسات الجنائزية التي كانت تقام حول القبر أو داخله، و لهذا ارتأينا أن نتناول في هذه الورقة البحثية "رمزية المصابيح الزيتية الجنائزية خلال الفترة الرومانية"، وذلك من خلال معطيات المقابر المؤرخة ما بين الفترة الممتدة ما بين القرن 1 ق.م و 3م، والتي أمدتنا بها حفريات القرن الماضي.

وقع اختيارنا على الفترة الرومانية التي حددناها بالقبور المؤرخة بين القرن 1 ق.م و 3م، للانتشار الواسع للمصابيح الزيتية في قبور تيبازة المؤرخة خلال هذه الفترة و هي الفترة الوثنية التي حرص خلالها الفرد التيبازي في تقديم المصابيح الزيتية في القبور لمرافقة الموتى. و من جهة أخرى نقص الدراسات حول الرمزية الجنائزية للأثاث الجنائزي بشكل عام و المصابيح الزيتية بشكل خاص إذ نجد هذه الأخيرة حاضرة تقريبا في جميع القبور بما في ذلك قبور الدفن العادي و قبور الترميد. يكمن الهدف من هذه الدراسة في تسليط الضوء على الممارسات و المعتقدات في المجتمع التيبازي من خلال استقراء المصباح الزيتي و بناء فرضيات و استنتاجات عن المجتمع و كيفية تفكيره بالموت و مدى تمسكه بهذه الأداة حتى بعد الموت، وهذا ما تظهره علامات و آثار تحملها هذه الأداة تدل على ممارسة طقوس حولها، و كذا ربط تواجدها في إطارها الجنائزي بالزخارف التي تحملها.

الكلمات المفتاحية: الرمزية، المقابر، المصباح، طقوس، الترميد.

Abstract

The tombs of Tipasa have been widely excavated, with discoveries published in numerous papers, though little attention has been given to funerary practices within these graves. Our research aims to address this by exploring the "Symbolism of Funerary Oil Lamps during the Roman Period" using data from graves dated between the 1st century BC and the 3rd century AD.

We focus on this period because oil lamps were frequently placed in funeral monuments as part of pagan burial customs, yet their symbolic meaning remains underexplored. This study aims to explore the role of these lamps in Ancient Tipasa society, in order to uncover beliefs about death and the rituals associated with these artefacts. For this reason, it is important to look at the location of these ceramics inside the tombs and the decoration and patterns they present suggesting their importance in broader funerary symbolism.

Keywords: funerary practices, 'Symbolism, oil lamps, tomb, cremation

1. مقدمة:

أولت المجتمعات القديمة أهمية كبيرة للموت، بحيث حرصوا بشدة على تهيئة القبور وإرفاق موتاهم بأثاث جنائزي متعدد وتكريس طقوس جنائزية، تخليداً للآلهة الممثلة لها وتكريماً لروح الميت. وقد خلفت هذه القبور بقايا متمثلة في أثاث جنائزي متنوع، مكّنت من معرفة مختلف الطقوس والممارسات التي أقيمت تجاه الأموات، وأمدتنا بمعطيات ومؤشرات حول ثقافة المجتمعات التي تعاقبت على المنطقة.

أولى الباحثون خلال حفرياتهم بمقابر تيبازة أهمية كبيرة في جمع أكبر عدد من المقتنيات لغرض ملء مخازن المتحف، ولم يتم التركيز على الجانب التحليلي للممارسات الجنائزية التي أقيمت حول هذه القبور. غير أن الأثاث الجنائزي يعطي فكرة حول أهمية إرفاق الميت بمرفقات جنائزية في مجتمع مدينة تيبازة خلال الفترة الرومانية، من بين الأدوات الأكثر انتشاراً المصابيح الزيتية، بحيث توفرت تقريباً في جميع القبور خاصة قبور الترميد.

توفرت المصابيح الزيتية في مقابر تيبازة بشكل كبير، إذ تم إحصاءها بـ 2606 مصباح زيتي¹، بعد معاينتنا لها، تبين لنا أن هذه الفخاريات تحمل عدة علامات و دلالات ترتبط بالجانب الجنائزي، من زخارف ومشاهد للآلهة السائدة آنذاك و للأساطير القديمة إضافة لزخارف حيوانية ونباتية وهندسية، بالإضافة لهذه العلامات هناك آثار تظهر على المصابيح تعطي قراءة لكيفية تقديمها و الممارسة التي أقيمت حولها، وعليه كان اختيارنا للفترة الرومانية راجع للتطور في تقديم الأثاث الجنائزي بشكل عام والمصابيح الزيتية بشكل خاص. هذه الممارسات ناتجة من التأثير و التأثر الذي عرفه مجتمع تيبازة ابتداءً من القرن 1 ق.م والتحويلات الحضارية الكبيرة التي مست كل جوانب الحياة.

¹ Bussière (J.), Lampes antique de l'Algérie ,2000.

2. تاريخ و استعمال المصباح الزيتي :

يعتبر المصباح الزيتي من أهم الوسائل التي اعتمد عليها الإنسان قديما واستخدمها لغرض الإنارة في حياته اليومية و أثناء المناسبات و الاحتفالات. إذ يعتبر المصباح أداة فخارية صغيرة خلفتها الحضارات القديمة² و عثر عليها بأعداد هائلة في المقابر القديمة اعتقادا منهم أنها تلزم الميت في رحلة ما بعد الموت .

فبعدما كان يعتمد الإنسان على أشعة الشمس وضوء القمر، فكر بإيجاد وسيلة دائمة يستطيع التحكم فيها وقتما يشاء، إذ ظهر المصباح في بداية الأمر على شكل قواقع و حجارة خلال العصر الحجري الحديث، ثم تفنن في صناعته خلال الفترات القديمة، بداية عند المصريين الذين طوروا في صناعته و لم يخترعوه عكس أقوال (F.Cardillac) و هيرودوت³.

إضافة إلى استعمالات المصابيح الزيتية في الحياة اليومية، يذكر (D.Bernard) أن الرومان مثل الشعوب الأخرى كانوا يستخدمون المصابيح في معابدهم و يضعونها عند الأبواب و على النوافذ و فوق الأشجار⁴، و تشعل في المناسبات الدينية و أثناء القيام بالطقوس الجنائزية خلال مراسيم الجنازة ثم توضع داخل القبور لمرافقة الميت.

يذكر هيرودوت⁵ أنهم كانوا يقيمون حفلا للمصابيح الزيتية يسمى بالحفل المشتعل "ardente"، حيث تشعل المصابيح وتوضع حول المنازل. وكان المصريون يطلقون على المصباح تسمية "كبس -Keps" ⁶، وحسب (M.Edmond Saglio) فالكلمة اللاتينية تطابق الكلمة الإغريقية « LAMPAS » و تعني الأداة التي ينبع منها الضوء، باشتعال النار في الفتيلة المبللة بالزيت، و للدلالة على المصباح فقد استعمل اللاتينيون كلمة "ليكنوس Lucinus" قبل استعمال كلمة "لوكيرنا Lucerna" و التي تدل كلتاها على المصباح⁷، حسب هيرودوت استخدم الإغريق صحن مسطح مملوء بالزيت والملح تطفو فوقها فتيلة من نبات الكتان⁸ فيذكر بلين (Pliny) وجود هذا الاستعمال في روما و يعتبر الملح وسيلة لامتصاص الماء الموجود بالزيت⁹.

² Carton (L.), « Les fabriques des lampes dans l'ancienne Afrique », B.S.G.A.O, 1916, p.1

³ Cardillac (F.), Histoire de la lampe antique en Afrique , Paris.1991 , p.10.

⁴ Bernard (D.), « L'antiquité est représentée en Afrique », Paris T II 2^e partie, p.204

⁵ Hérodote, Histoire, Livre II, (2-62) LXII

⁶ Cardillac (F.), Op.Cit, p.9.

⁷ Darenberg et Edmond saglio (M.), Dictionnaire des antiquités grecques et romaines, Tome I, p.914.

⁸ Hérodote, Op.Cit.

⁹ Bussière (J.) Note sur une mèche de lampe » Ant.Afr, t7, 1973, pp.255-258.

3. المصاييح الزيتية في قبور مدينة تيبازة:

من خلال جردنا للمصاييح الزيتية المستخرجة من مقابر تيبازة و المؤرخة ما بين القرن 1 ق.م والقرن 3م، وبعد التصفح والاطلاع على تقارير الحفريات، تبين لنا أن المصاييح تم استخراجها بشكل كبير من القبور الترميدية أكثر من قبور الدفن العادي.

حسب تقارير الحفريات انتشرت المصاييح الزيتية في جميع القبور، إذ تأتي موزعة في 7 قبور¹⁰ بالمقبرة الشرقية و تقدر ب 30 مصباح زيتي، حيث خصت قبور الترميد و هي عبارة عن سردابين للدفن الجماعي و 5 قبور فردية و لم يتم تسجيلها في قبور الدفن العادي، أرخت ما بين القرن 1 ق.م و 1م¹¹.

أما مقبرة منزل اللوحات الجدارية توفرت على مصاييح زيتية في 8 قبور أرخت بالقرن 1م، وهي قبور ترميد و التي تعتبر العادة المنتشرة خلال تلك الفترة¹² و المقبرة الغربية هي الأخرى عثر بها على مصاييح أرخت بالنصف الأول من القرن 2م¹³.

عرفت مقبرة باب قيصرية المؤرخة بالقرنين 1 و 2م انتشارا واسعا للمصاييح الزيتية، هذا راجع للعدد الكبير للقبور فنجد المصاييح تتوفر في 41 قبر حسب المعطيات المتوفرة في المتحف إذ أن تقرير حفرة مقبرة باب قيصرية التي قام بها الباحث لانسال (Lancel) أولي و لم يتطرق فيه لدراسة المصاييح المكتشفة بها¹⁴.

المقبرة الغربية لمطارس، توفرت على 9 مصاييح زيتية ضمن مجمع القبور المؤرخ بين القرن 2م و بداية القرن 3م، إذ تم تسجيلها موزعة بين 6 قبور ذو عادة الترميد و قبرين للدفن العادي في نفس الفضاء الجنائزي (فضاء جنائزي 2 المجموعة II)¹⁵.

حسب معطيات المقابر و ما أمدت من مصاييح، نلاحظ توفر هذه الأخيرة بشكل خاص في القبور الترميدية و هو الطقس الجنائزي الأكثر انتشارا خلال الفترة الوثنية، إذ كان يستعمل منذ فجر التاريخ بقرطاجة و توقف بعد القرن 7 ق.م حيث سادت عادة الدفن العادي إلى غاية القرن 4 ق.م، ثم استغني عليها بعد أن طغت عادة الحرق من جديد لتنتشر في كل المدن الساحلية أبرزها مدينة تيبازة، و نلاحظ أن أغلب القبور التي تعود للفترة الرومانية مورست فيها عادة الترميد مع تسجيل بعض حالات الدفن العادي نذكر منها (السرداب Y و القبر Z6) بالمقبرة

¹⁰ قبور المقبرة الشرقية: قبور فردية: B21، 82، 90، B59، 88. سرداب: 80، 81.

¹¹ Baradez (J.), « Nécropole orientale côtière de Tipasa de Maurétanie », Antiquité. Africaine., t.3, 1969, p.99 ; Baradez (J), « nouvelles fouilles à Tipasa dans une nécropole païenne », Libyca . V, 1957, p. 159-220 ; Ibid, 1969 : n° 7 ET n°3, p 87 -105 .

¹² قبور مقبرة منزل اللوحات الجدارية: I, II, XV, XVI, III, IV, XII, XX , XXXIX.

¹³ Lancel (J.), « Tipasitana I : fouilles dans la nécropole occidentale de Tipasa », (rapport sur les travaux réalisés au cours d » un stage archéologique en juillet 1964) B.A.A, I, 1962-1965, 41-74 ;

¹⁴ Lancel (J.), « Tipasitana IV : La nécropole romaine occidentale de la porte de Césarée », (rapport préliminaire 1964- 65) B.A.A, IV, 1964-1965.

¹⁵ Bouchenaki (M.), Bouchenaki (M.), Fouilles de la nécropole occidentale de Tipasa (Matares) (1968-1972) Alger, SNED, 1975, p.90.

الغربية و قبرين بمقبرة مطاراس عثر بهما على مصابيح زيتية مؤرخة بالمنتصف الثاني للقرن 2م إلى بداية القرن 3م¹⁶ يوضح (الجدول رقم 01) تردد المصابيح الزيتية بمقابر تيبازة

اسم المقبرة	التاريخ	عدد القبور المتوفرة على مصابيح زيتية	عدد المصابيح الزيتية	نوع الدفن
المقبرة الشرقية	ما بين القرن 1 ق.م - 1م	7 قبور	30 مصباح	الترميز
مقبرة منزل اللوحات الجدارية	القرن 1م	8 قبور	8 مصابيح	الترميز
المقبرة الغربية	القرن 1م - ق 2م	6 قبور	7 مصابيح	ترميز و دفن عادي
مقبرة باب قيصرية	القرن 1م - ق 2م	41 قبر	331 مصباح	الترميز
مقبرة مطاراس	القرن 2م - 3م	8 قبور	9 مصابيح	ترميز و دفن عادي

جدول رقم 01: يمثل الجدول تردد المصابيح الزيتية بمقابر تيبازة ما بين القرن 1 ق.م و 3م (عن الطالبة)

4. وضعية المصابيح داخل القبر:

تأتي وضعية المصابيح الزيتية داخل القبور غالبا جهة رأس الميت¹⁷ أو بجانب الصدر ما يؤكد حرصهم الشديد على تقريب المصباح من رأس الميت، في بعض القبور تأتي موضوعة بشكل عشوائي، أو بجانب حاويات رماد الموتى و قد تأتي موضوعة داخل الأواني ، قد نجد في قبر واحد مختلف الوضعيات مثل السرداب 81 للمقبرة الشرقية الذي تأتي فيه المصابيح الزيتية تتخذ عدة مواضع ، إذ يحتوي السرداب على عدة مجموعات جنائزية جاءت جميعها مرفقة بمصباح أو أكثر يتخذ موضع مختلف سواء حول حاويات الرماد أو وجدت موضوعة داخل صحن أو كوب أو متوضع بشكل عشوائي¹⁸ . (الصورة رقم 01)

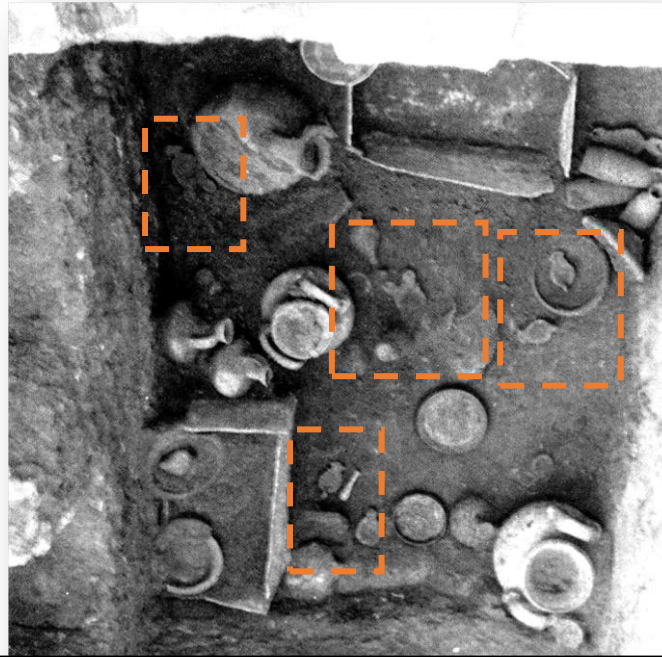
¹⁶ Ibid,pp. 84-85-90

¹⁷ Ibid .pp. 81-83

¹⁸ Baradez (J.), 1969,p.94

يأتي موضع المصباح الزيتي في القبر XV بمقبرة منزل اللوحات الجدارية ، فوق صخرة كبيرة بشكل منعزل عن بقية الأثاث الجنائزي بحيث جاء موضعه ربما جهة الرأس قبل عملية الترميد و التي أقيمت في نفس الحفرة أين عثر على آثار حرق و رماد على الحجارة وسط القبر¹⁹، (الشكل رقم 01) نجد أيضا بالنسبة للقبر I بنفس المقبرة تموضع المصباح داخل كوبر جاء من الجهة الغربية موضع الرأس بعد الترميد و منعزلا عن باقي الأثاث²⁰.

مقبرة باب قيصرية لم يتم التطرق لوصف وضعية الأثاث الجنائزي داخل كل قبر إذ اكتفى الباحث لانسال LANCEL²¹ بنشر تقرير أولي للحفريات، و لم يتطرق فيه للمصابيح الزيتية التي استخرجها خلال حفرياته، بحيث تم جمعها و بقية الأثاث الجنائزي و تحويلها لمخازن المتحف دون مراعاة الجانب الوصفي، و بهذا الشكل دراستها جاءت بشكل منفصل عن القبر .

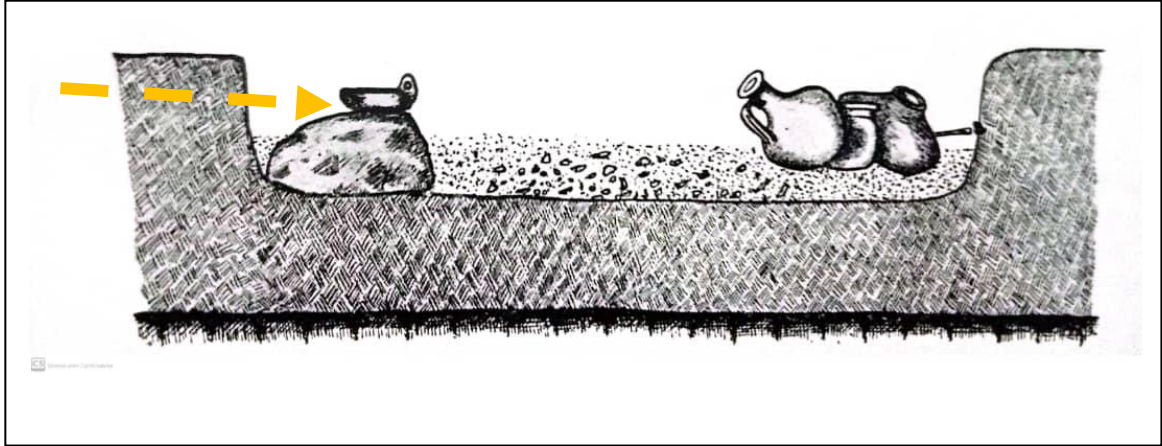


صورة رقم 01: تمثل توضع المصابيح الزيتية بالسرداب الجماعي 81
للمقبرة الشرقية (عن Baradez (J.), 1969)

¹⁹ Baradez(J.), 1961, pp. 28-30

²⁰ Baradez(J.), 1961, pp. 8-17.

²¹ Ibid, pp. 41-74



الشكل رقم 01: يمثل توضع المصباح الزيتي بالقبر XV بعد الترميم

Baradez (J.), 1961, fig.5 , p.28

5. الرمزية من خلال المصابيح الزيتية:

تظهر على المصابيح الزيتية المستخرجة من مقابر تيبازة و التي ترجع للفترة الممتدة ما بين القرن 1 ق.م و 3م مجموعة من المشاهد الايكونوغرافية و الرموز المختلفة تزين الصحن و الشريط ،تتمثل في رموز دينية و فلكية ،أشكال حيوانية ، نباتية أو هندسية و مشاهد للحياة اليومية ، تحمل هذه الرموز دلالاتها الخاصة من دون شك.

1.5. زخارف الآلهة و المعبودات:

تتمثل في مشاهد ميتولوجية و أساطير مجسدة للآلهة المعبودة في المنطقة ،تتمثل هذه الزخارف في تمثيلات للآلهة على هيئة آدمية أو رموز حيوانية أو نباتية ترمز جميعها إلى آلهة معينة ،حسب بوسيير (Bussière)تعتبر الأسطورة و الدين مصدر الهام غالبية الزخارف المصورة على المصابيح الزيتية²².

تداولت المصابيح المستخرجة من مقابر تيبازة عدة تمثيلات للآلهة:

الإلهة لونا (LUNA): هي إلهة القمر عند الرومان و هي أخت الإله (SOL)، حيث يرمزان لدورة الفصول²³ ، و يأتي على شكل تمثيل لرأس الآلهة لونا تتوسط هلال متجه نحو الأعلى.

²²Ibid, p .149.

²³ Grimal (p.), Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine, Paris.1951, p.123.

الإله باخوس (*Bacchus*): هو اله روماني و يعادل ديونيسوس (*Dionysos*) في الميثولوجية الإغريقية، هو اله الخمر و المنتجات الفلاحية و الكروم، غالبا ما يأتي متوجا بتاج من أوراق العنب و يتكئ على عصا، و يرمز له بالدالية و عنقود العنب²⁴.

الإله جوبيتر (*Jupiter*): هو اله السماء و الأرض و جميع الكائنات الحية عند الرومان يرمز له بالنسر²⁵ و يأتي على شكل شخص ملتحى.

الإله أبولون (*Apollon*): عند الإغريق هو اله الشمس و اله الموسيقى و اله الوباء و الشفاء، بالإضافة إلى انه اله الحيوان و الحرب، هو ابن الإله زيوس (*Zeus*)²⁶.

أفريكا (*Africa*): هي آلهة ترمز لإفريقيا خلال الفترة الرومانية، بحيث تتجسد في رأس امرأة بتسريحة و ترتدي جلد فيل كغطاء للرأس الذي يرمز للقوة و الهيبة و تحمل قرن الوفرة و الخصوبة، يرمز لها بالعقرب.

صول (*SOL*) أو ما يعادل الإله هيليوس (*Helios*) الإله هيليوس: عند الإغريق ، و هو إلهة الشمس و الضوء، و يرمز لدورة الفصول و الشفق.

2.5 زخارف حيوانية: جاءت بعض نماذج المصابيح الزيتية لمقابر تيبازة تحمل زخارف حيوانية لها قيمة رمزية مرتبطة ببعض المعبودات ، و أخرى تجسيدا للبيئة تلك الفترة التي عايشها الحرفي، فمن بينها تمثيل للعصفور، العقرب، الحصان، و غيرها من الحيوانات البرية و المفترسة كالأسد، الأرنب و الفيل .

3.5 زخارف نباتية: تشمل كل الزخارف النباتية من سعف نخيل، أكليل الغار، و أزهار اللوتس.

4.5 رموز فلكية و هندسية: نجدها مجسدة في عدد كبير من مصابيح تيبازة، مثل زخارف متمثلة في هلال تعلوه نجمة، شكل قرص وخطوط و دوائر .

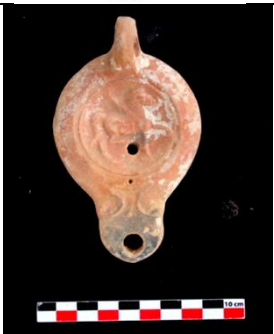
5.5 زخارف لمشاهد الحياة اليومية: جاءت مرتبطة بشكل مباشر بالبيئة التي تم فيها صنع المصباح، فهي تحمل مشاهد سفن حربية، أفنعة ممثلي المسرح، معدات المصارعة، المذابح الجنائزية. (أنظر الجدول رقم 02)

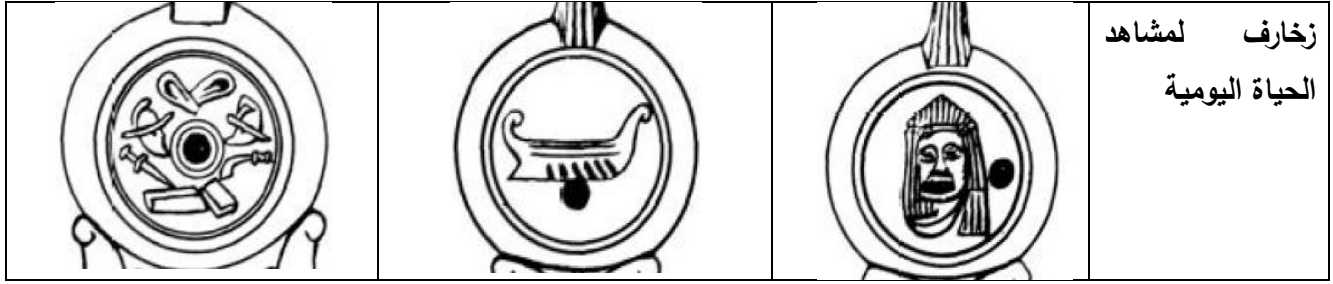
نجد بعض المصابيح الزيتية خالية من الزخارف ، خاصة التي تؤرخ ابتداءا من القرن 3م عكس مصابيح المقابر المؤرخة ما بين القرن 1ق.م و 2م، التي تحتوي على المشاهد والزخارف، هذا راجع لارتباط الزخارف بالمعتقدات الدينية و جاء الاستغناء عن التمثيلات و رموز المعبودات الوثنية على المصابيح بتبني الديانة المسيحية بشكل تدريجي.

²⁴ Richepin(J.), Nouvelle mythologie illustrée, Tome 1, paris , 1923, p. 68.

²⁵ Richepin(J.), Nouvelle mythologie illustrée, Tome 1, paris, 1920, p.375.

²⁶ Ibid, 1920 pp. 97-123.

			زخارف الآلهة و المعبودات الدينية
			
			
			زخارف نباتية
			رموز فلكية و هندسية



جدول رقم 02: يمثل الجدول بعض نماذج الزخارف التي تظهر على المصابيح المستخرجة من مقابر تيبازة ما بين القرن 1 ق.م و 3م (عن الطالبة)

6. الرمزية الجنائزية للمصابيح الزيتية:

تعتبر عادة إشعال المصابيح الزيتية خلال مراسيم الجنازة حول القبر من العادات المحلية و التي عرفت انتشارا واسعا خلال الفترة الرومانية يتبين ذلك من خلال النقشيتين التي تم العثور عليهما و تعودان إلى الفترة الرومانية²⁷ تذكر أن عائلة المتوفى و أقرباؤه يحرصون على إشعال المصابيح حول القبر بين فترة وأخرى تخليدا لذكرى الميت، إضافة لإشعال المصابيح أثناء مراسيم الجنازة ثم وضعها في القبر بعد الانتهاء من مراسيم الدفن، اذ تتخذ موضعا معينا، حسب بلوتارك (Plutarque) بمجرد انطفائها ينتقل الميت من عالم الأحياء نحو عالم الأموات²⁸ ، ونجد في بعض المصابيح بقايا مسامير تثبيت الشعلة على الفوهة لإطالة مدة الإضاءة (صورة رقم 03) ، كما نجد آثار الحرق على بعض المصابيح تم إشعالها خلال مراسيم الدفن ثم أدرجت ضمن الأثاث الجنائزي الذي يرافق الميت في قبره، أو يمكن أنها تعرضت لنار المحطبة التي يتم فيها إحراق الميت بقبر الترميد الأولي. (صورة رقم 04).

نجد بعض الشقف و أجزاء المصابيح ضمن الأثاث الجنائزي، تعرضت لكسر الغير العمدي خلال مراسيم الدفن و يمكن أن يكون بعضها تعرض للكسر العمدي حسب الباحث ايديران²⁹ الذي يرى أنها تدخل ربما ضمن طقوس الدفن بحيث لاحظ بالنسبة للقبور الجماعية يتم تقديم المصابيح بعد عملية حرق الميت و بذلك جاءت فيها معظم المصابيح بشكل كامل، فتبقى احتمالية وجود بعضها منكسر أو منقوص بعض الأجزاء لممارسة كسر عمدي بعد الانتهاء من مراسيم الجنازة تعبيرا عن حزن و أسى أهل الميت. تأتي بعض المصابيح مرفقة بقطع نقدية متوضعة على الحوض ،تحمل دلالة رمزية إذ ترتبط القطع النقدية و المصابيح الزيتية برحلة الميت. (صورة رقم 05)

²⁷ Chrzanovski(L.), Pour une ethnologie Pan-Européenne des cires de deuil : confection, utilisation et rituels de ces luminaires en France , Espagne et Roumanie. CNRS, Paris, France , P. 45-46

²⁸Plutarque, Etiologie romaine, LXXV.

²⁹ايديران (ح.)، مقابر مدينة تيبازة، مقابر و ممارسات جنائزية ما بين القرن (1 ق.م و 3م) ، معهد الآثار، 2017، ص223.



صورة رقم 03: مصباح يحمل مسمار تثبيت الشعلة
مقبرة باب قيسرية قبر 11 (عن الطالبة)



صورة رقم 04: مصباح مستخرج من القبر 34 مقبرة
باب قيسرية، يحمل آثار حرق و كسر قبل أن يتم
ترميمه (عن الطالبة)



صورة رقم 05: مصباح مستخرج من مقبرة باب قيسرية
يحمل قطعة نقدية (عن الطالبة)

الدراسة التحليلية:

استخلصنا من خلال دراستنا هذه تمسك الإنسان التيبازي بالمصباح الزيتي و حاجته له خلال مراسيم الجنازة، و حتى مرافقته للميت في قبره، و من خلال المعطيات التي أدلت بها حفريات مقابر تيبازة و حتى مقابر أخرى كمقبرة سيتيفيس³⁰

جاء تسجيل توضع المصابيح في بعض القبور منعزلا عن باقي الأثاث، وفي بعض القبور يأتي موضعه داخل كوب أو إناء أو حول المراميد أو تتخذ مواضع عشوائية، و كان يفصل وضعها جهة رأس الميت أو من الجهة العلوية أي على مقربة من الرأس ، دليل على أنها تلزم الميت لإضاءة عتمة القبر و ترافقه في رحلة الموت و الذي اعتبروه عالم عاتم و مظلم.

تبقى الرمزية الجنازية للمصباح الزيتي نفسها سواء تعلق الأمر بمصابيح تحمل آثار حرق أم إشعال أو مصابيح لا تحمل اثر استعمال خلال مراسيم الجنازة، في جميع الحالات يبقى للمصباح دور واحد داخل القبر بالنسبة للميت حسب المعتقد السائد آنذاك.

يكن الدور الرئيسي للمصابيح الزيتية في الإنارة و الإضاءة إذ أن الإنسان يربط النور و الضوء بالحياة ويتم إشعالها خلال مراسيم الجنازة و بمجرد انطفائها ينتقل الميت إلى عالم الأموات، ما يدل على أن المجتمع التيبازي خلال الفترة الرومانية كانت لهم أفكار عقائدية مرتبطة بالمصباح، فالرموز و الزخارف التي جاءت مزينة لمصابيح تيبازة خلال الفترة الرومانية (الفترة الوثنية) تأتي تقريبا جميعها تجسد الآلهة و المعبودات السائدة تلك الفترة، و توضع في القبر تخليدا للميت و تكريسا للآلهة.

من خلال معطيات مختلف مقابر المغرب القديم عامة و مقابر تيبازة بخصوص عادة مرافقة الموتى بأثاث جنازي بشكل عام و المصابيح الزيتية بشكل خاص نلاحظ توارث التقاليد و الطقوس و عدم انقطاعها طيلة المراحل الزمنية و حتى استمرارية تبنيتها مع التخلي عن بعض الطقوس تبعا للديانة الجديدة و هي المسيحية.

³⁰ Fevrier (P-A.), Guery (R.), « Les rites funéraires de la nécropole orientale de Sétif ».Ant.Afr, 15,1980, p.97.

خاتمة:

تبين لنا من خلال هذه الدراسة و على ضوء معطيات حفريات قبور تيبازة بين الفترة (1ق.م - 3م) أن عادة إرفاق القبر بمصابيح زيتية عرف انتشارا واسعا خاصة ما بين القرن 1م و 2م بمقبرة باب قيصرية، فمن خلال معطيات القبور أصبح يوضع في القبر أكثر من مصباح واحد و ذلك لمدى أهميته في مراسيم الدفن.

ارتبط المصباح الزيتي بالطقس الجنائزي الذي كان يقام تخليدا لذكرى الموتى و تكريسا للآلهة الممثلة لهم، إذ كان يحمل مدلولاً جنائزي يتعلق بمفارقة الميت لعالم الأحياء بمجرد انطفاء الشعلة، و كانت تحمل رموز و زخارف تدور معظمها حول الآلهة و المعبودات كما تضمنت علامات و آثار تعبر عن ممارسات جنائزية سارت أثناء الجنازة من كسر عمدي تعبيرا ربما عن الأسى، أو حملها لمسامير تثبيت الشعلة لاستمرار إنارتها مدة الجنازة أو ربما لتبقى مشتعلة داخل القبر. و من خلال وضعيته بالنسبة لرأس أو صدر الميت يتبين دوره الرئيسي في الإضاءة و الإنارة حسب المعتقد السائد آنذاك حتى بعد الموت.

من خلال هذه الورقة البحثية يتبين مدى أهمية تسجيل وضعية الأثاث الجنائزي بالقبر بدقة للتمكن من دراسة الممارسات و الشعائر المقامة خلال مراسيم الجنازة من قبل الأفراد حول القبر و داخله، و بذلك معرفة طريقة تفكير المجتمع القديم اتجاه ظاهرة الموت.

يرجع العامل الأساسي في استمرارية توظيف الرمزية الوثنية في الايكنوغرافيا على المصابيح بشكل خاص و مختلف المساند في مدن شمال إفريقيا إلى تمسك السكان بالديانات القديمة خاصة المحلية منها ، فالديانة المسيحية لم تستطع أن تقضي تماما على العبادات الوثنية و التي استمرت إلى غاية القرن السادس ميلادي، و من جهة أخرى استغلال الحكام الرومان هذه الديانة الجديدة لتثبيت سلطتهم الزمنية ما دفع ببعض الفئات بالتمسك بديانتهم الوثنية.

قائمة المراجع والمصادر:

المصادر:

- Hérodote, Histoire, Livre II (2-62) LXII
- Plutarque, Etiologie romaine, LXXV

المراجع:

- Bussière (J.), Lampes antiques d'Algérie I, édition Monique Mergoil, France, 2000.
- Bussière (J.) Note sur une mèche de lampe » Ant.Afr, t7, 1973.
- Bernard de Mon faucon (D.), « L'antiquité est représentée en Afrique », Paris T II 2^e partie ., sans date
- Bouchenaki(M.), Fouilles de la nécropole occidentale de Tipasa (Matares) (1968-1972) Alger.SNED,1975.
- Baradez (J.),« Nécropole orientale côtière de Tipasa de Maurétanie », Antiquité. Africaine., t.3, 1969 , n° 7 ET n°3,p87 -105 .
- Baradez (J.),« les nécropoles de Tipasa : tombes du cimetière occidental côtier », Ant.Afr., t.2, 1968.
- Baradez (J), « nouvelles fouilles à Tipasa dans une nécropole païenne », Libyca . V, 1957,p. 159-220
- Carton (L.), « Les fabriques des lampes dans l'ancienne Afrique », Oran, imprimerie typographique et lithographique, Bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, T : XXXVI ,B.S.G.A.O, 1916.
- Cardaillac (F.), Histoire de la lampe antique en Afrique , Paris.1991.
- Chrzanowski(L.), Pour une ethnologie Pan-Européenne des cires de deuil : confection, utilisation et rituels de ces luminaires en France , Espagne et Roumanie. CNRS, Paris, France , pp . 45-46
- Daremberg et Edmond Saglio(M.), Dictionnaire des antiquités grecques et romaines, librairie hachette, Tome I. p.914.
- Lancel (S.), « Tipasitana IV : La nécropole romaine occidentale de la porte de Césarée », (rapport préliminaire 1964- 65) B.A.A, IV, 1964-1965.
- Lancel (S.), « TipasitanaI : fouilles dans la nécropole occidentale de Tipasa », (rapport sur les travaux réalisés au cours d »un stage archéologique en juillet 1964) B.A.A, I, 1962-1965.
- Provost (A.), » Les lampes antiques en terre cuite , introduction et essai de typologie générale avec des détails concernant les lampes trouvées en Italie »,i, l'antiquité classique, Tome 45 ,in fasc.1, p.7.
- Février (P-A.), Guery (R.), « Les rites funéraires de la nécropole orientale de Sétif ».Ant.Afr, 15,1980, p.91-124
- Grimal (p.), Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine, Paris.1951, pp.123.
- Richepin(J.), Nouvelle mythologie illustrée, Tome 1, paris , 1923/ 1920.

الأطروحات:

- إيديران (ح.), مقابر مدينة تيبازة، مقابر و ممارسات جنائزية ما بين القرن (1ق م و 3م) الجزء الأول، معهد الآثار، 2017.